

## من كتاب "وجع الكنيسة" (٤) الحكمة الشاملة في غاية الكنيسة

القديس نيكولا فيليميروفيتش  
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

كانت اليهودية موجهة لشعب إسرائيل فقط. أما الكنيسة المسيحية فكان توجهها لشعب إسرائيل أيضاً، ولكن ليس لهم وحدهم، بل شملت اليونانيين كذلك.

تعدد الآلهة اليوناني في أوليمبوس كان مخصصاً للعرق الهيليني فقط. أما الكنيسة المسيحية فتوجهت إلى العرق الهيليني أيضاً، ولكن لا من أجله فقط بل قد ضمت حتى الهنود. أعطيت حكمة بوذا للربان والنباتيين، أما الكنيسة المسيحية فهي للربان والنباتيين، كما للمتزوجين والاجتماعيين أيضاً.

أسس فيثاغورس جماعة دينية من المثقفين الأرستقراطيين. أما الكنيسة المسيحية فضمت منذ البداية الأرستقراطيين المثقفين جنباً إلى جنب مع الجهال وغير المتعلمين.

لمحاربة إله الظلام، جئد النبي الفارسي زرادشت جنوداً لإله النور من أفضل الرجال. كانت مؤسسته الدينية مثل ثكنة عسكرية. الكنيسة المسيحية ضمت كلاً من الأفضل والأسوأ، الصالحين والخطأة، الأصحاء والمرضى. كانت ثكنة ومستشفى في نفس الوقت. كانت مؤسسة للقتال الروحي والشفاء الروحي.

دعا الحكيم الصيني كونفوشيوس إلى البراغماتية الأخلاقية الرائعة. المفكر العميق لاو تسي بشر بروحانية شاملة. الحكمة المسيحية تضمنت كلاهما وفتحت السماء للأول وأظهرت الأهمية الكبيرة للعالم المادي بالنسبة للعالم الثاني.

كان للإسلام طموح مسيحي بمعنى ما: الفوز بالعالم كله. الاختلاف هو أن الإسلام تمنى غزو العالم بينما الكنيسة تمّت خلاص العالم. قصد الإسلام إخضاع جميع الناس وتقديمهم أمام الله كعبيد له. أما الكنيسة فقصدت أن تربّي كل الناس وتنقيهم وترقيهم، وأن تقدمهم أمام الله كأبناء له.

وكل الآخرين: عبدة النجوم، والنار، والخشب، والماء، والحجر، وعباد الحيوانات لديهم إحساس ملموس بالوجود الإلهي المباشر في الطبيعة. لم تأت الكنيسة لإطفاء هذا المعنى بل لتوضيحه وضبطه. لتضع الله مكان الشياطين والرجاء مكان الخوف.

لم تأت الكنيسة للتدمير، بل للتطهير والمساعدة والاندماج. لم تكن وجهة الكنيسة قومية ولا عنصرية بل كونية. ما من قوة حصرية تستطيع أن ترنو لأن تكون قوة عالمية. فشل الإسلام المطلق في أن يصبح قوة عالمية يكمن في حصريته. هذا كان في الدين كما في السياسة. كل سياسة حصرية محكوم عليها بالفشل: الألمانية كما التركية كما النابليونية. سياسة الكنيسة رسمها مؤسسها الإلهي: "من ليس ضدنا فهو معنا". حسناً، ما من عرق بشري على الأرض ضد المسيح بالكلية وغير مستعد لقبوله بأي شكل. لذلك فإن حكمة المبشرين

---

المسيحيين هي أن يروا أولاً كيف أعدت العناية الإلهية تربة للبذور المسيحية، لمعرفة العناصر المسيحية التي يمتلكها العرق أو الدين بالفعل، وكيفية الاستفادة من هذه العناصر ودمجها في المسيحية. كل ذلك - من أجل جعل المسيحية تنمو عضوياً، بدلاً من دفعها آلياً.

في الختام اسمحوا لي أن أكرر مرة أخرى: حكمة الكنيسة كانت شاملة. حكمة مؤسسها كانت شاملة، بما في ذلك حكمة مؤسسها وغايتها...